

الحق ، وأن فيه كثيراً مما يفيدنا ، لا في تفهّم مشكلاتنا وحسب ، وإنما في إنتاج المعرفة أيضاً .

دون هذا الوعي ، قد يتقلب تعارضنا السياسي - الإيديولوجي مع الآخر الغربي ، إلى تعارض إنساني - ثقافي وحضاري . وتكشف إرادة الوصول إلى ترسيخ هذا التعارض الأخير ، سواء جاءت من جهة الغرب أو من جهة الشرق العربي - الإسلامي ، قُصدًا أو عفواً ، عن إرادة أخرى ، خصوصاً في عصرنا الراهن ، هي توكيد مقولة « التفوق الغربي » ، أي توكيد الثنائية الزائفة : غرب متحضّر ، وشرق عربيّ إسلاميّ متخلف . وأقول زائفة لأنها تستند إلى معيار سطحيّ - معيار التّقنية الآليّة ، ولأنه لم يعد هناك « غربٌ » أو « شرقٌ » ، يشكل كلّ منهما ، وحدة كليّة قائمة بذاتها . كلاهما متعدّد ، متنوّع : في الغرب أنواعٌ كثيرة من الغرب أكثر انحطاطاً من أي انحطاط عربيّ إسلاميّ ، وفي الشرق العربيّ الإسلاميّ أنواعٌ كثيرة من الشرق أكثر تقدّماً من أيّ تقدّم عربيّ .

نلاحظ في أفق هذا الوعي أنّ العالم كلّهُ ، اليوم ، يعيش في مُناخ حضاريّ كونيّة واحدة ، لكن بخصوصيّات ، واضحة أو غامضة ، تبعاً لدرجة الحضور الخلاق عند كلّ شعب . ومعنى ذلك أن الحدائث هي ، بدورها ، مناخ أفكار وأشكالٍ كونيّة ، وليست حالة خاصّة بشعبٍ دون آخر . وإذا كان ثمة تفاوتٌ بين الشرق العربيّ الإسلاميّ والغرب الأوروبي - الأميركيّ ، في ممارسة الحدائث ، فإنّه تفاوتٌ كميّ في الدّرجة الأولى ، أو هو